

تفسير البحر المحيط

@ 122 @ لغة لبني العنبر ، يبدلون من السين صاداً إذا وليتها ، أو فصل بحرف أو حرفين ، خاء أو عين أو قاف أو طاء . { لَّهَّاهَا طَلَعٌ } : تقدم شرحه عند { مِّنْ طَلَعَهَا قِنْدُوانٌ دَانِيَةٌ } . . .

{ زَّصِيدٌ } : أي منضود بعضه فوق بعض ، بريد كثرة الطلع وتراكمه ، أي كثرة ما فيه من الثمر . وأول ظهور الثمر في الكفرى هو أبيض ينضد كحب الرمان ، فما دام ملتصفاً بعضه ببعض فهو نصيد ، فإذا خرج من الكفرى تفرق فليس بنصيد . و { رَزَقًا } نصب على المصدر ، لأن معنى : وأنبتنا رزقنا ، أو على أنه مفعول له . وقرأ الجمهور : { مَيِّتًا } بالتخفيف ؛ وأبو جعفر ، وخالد : بالثقل ، والإشارة في ذلك إلى الإحياء ، أي الخروج من الأرض أحياء بعد موتكم ، مثل ذلك الحياة للبلدة الميتة ، وهذه كلها أمثلة وأدلة على البعث . . .

وذكر تعالى في السماء ثلاثة : البناء والتزين ونفي الفروج ، وفي الأرض ثلاثة : المد وإلقاء الرواسي والنبات . قابل المد بالبناء ، لأن المد وضع والبناء رفع . وإلقاء الرواسي بالتزيين بالكواكب ، لارتكاز كل واحد منهما . والنبات المترتب على الشق بانتفاء الفروج ، فلا شق فيها . ونبه فيما تعلق به الإنبات على ما يقطف كل سنة ويبقى أصله ، وما يزرع كل سنة أو سنتين ويقطف كل سنة ، وعلى ما اختلط من جنسين ، فبعض الثمار فاكهة لا قوت ، وأكثر الزرع قوت والثمر فاكهة وقوت . . .

ولما ذكر تعالى قوله : { بَلَّ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّاسًا جَاءَهُمْ } ، ذكر من كذب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، تسلياً لرسوله صلى الله عليه وسلم) ، وتقدم الكلام على مفردات هذه الآية وهذه الآية وقصص من ذكر فيها . وقرأ أبو جعفر ، وشيبة ، وطلحة ، ونافع : الأيكة بلام التعريف ؛ والجمهور : ليكة . { كَلُّمٌ كَذَّبَ الرَّسُولَ } : أي كلهم ، أي جميعهم كذب ؛ وحمل على لفظ كل ، فأفرد الضمير في كذب . وقال الزمخشري : يجوز أن يراد به كل واحد منهم . انتهى . والتنوين في كل تنوين عوض من المضاف إليه المحذوف . وأجاز محمد بن الوليد ، وهو من قدماء نحاة مصر ، أن يحذف التنوين من كل جعله غاية ، ويبنى على الضم ، كما يبني قبل وبعد ، فأجاز كل منطلق بضم اللام دون تنوين ، ورد ذلك عليه الأخفش الصغير ، وهو علي بن سليمان . { فَحَقَّقَ وَعَيْدِ } : أي وجب تعذيب الأمم المكذبة وإهلاكهم ، وفي ذلك تسلياً للرسول صلى الله عليه وسلم) ، وتهديد لقريش ومن كذب الرسول . . .

قوله عز وجل : { أَفَعَيَّيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ * وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ }

وَزَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى
الْمُتَلَقِّيَّانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ فَعَيْدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ
قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ * وَجَاءَتْ سَكْرَةٌ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ
ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدٌ * وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ *
وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ . .

{ أَفَعَيْدِنَا بِالْخَلْقِ الْوَسْلِ } : وهو إنشاء الإنسان من نطفة على التدرج ،
وتقدم تفسير عيي في قوله تعالى : { وَلَمْ يَعَىٰ بِخَلْقِهِنَّ } . وقرأ الجمهور :
أفعيينا ، بياء مكسورة بعدها ياء ساكنة ، ماضي عيي ، كرضي . وقرأ ابن أبي عبلة ،
والوليد بن مسلم ، والقورصبي عن أبي جعفر ، والسمسار عن شيبه ، وأبو بحر عن نافع :
بتشديد الياء من غير إشباع في الثانية ، هكذا قال أبو القاسم الهذلي في كتاب الكامل .
وقال ابن خالويه في كتاب شواذ القراءات له : أفعيننا بتشديد الياء . ابن أبي عبلة ،
وفكرت في توجيه هذه القراءة ، إذ لم يذكر أحد توجيهها ، فخرجتها على لغة من أدغم الياء
في الياء في الماضي ، فقال : عي في عيي ، وحي في حيي . فلما أدغم ، ألحقه ضمير المتكلم
المعظم نفسه ، ولم يفك الإدغام فقال : عينا ، وهي لغة لبعض بكر بن وائل ، يقولون في
رددت ورددنا : ردت ورددنا ، فلا يفكون ، وعلى هذه اللغة تكون الياء المشددة مفتوحة .
فلو كان نا ضمير نصب ، لاجتمعت العرب على الإدغام ، نحو : ردنا زيد . وقال الحسن :
الخلق الأول آدم عليه السلام ، والمعنى : أعجزنا عن الخلق الأول ، فنعجز عن الخلق الثاني
، وهذا توقيف للكفار ، وتوبيخ وإقامة الحجة الواضحة عليهم . { بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ }
: أي خلط وشبهة وحيرة ، ومنه قول علي : يا جار إنه لملبوس عليك ،